خديجة حاج علي/ الصفحات: من 243 إلى: 253
الملتقى الدولي: التعدد المصطلحي في اللسانيات ومشكلات الترجمة-مخبر-اللسانيات التقابلية وخصائص اللغات-جامعة الأغواط-2023/12/16م

منهجيّة الفكر العربيّ في صياغة المصّطلح اللّسانيّ(نماذج تطبيقية).

The methodology of arab thought in formulating linguistic terms(applied models)

د. حاج علي خديجة.
د. شويشي مريم.
جامعة مصطفى اسطمبولي- معسكر(الجزائر)
khadidja.hadjali@univ-mascara.dz

تاريخ الإيداع: 2023/11/25 تاريخ القبول:2023/12/02 تاريخ النشر: 2023/12/20

الملخص:

سعت اللسّانيّات العربيّة طيلة مخاضّها المعرفيّ إلى تلقي واستيعاب النظريّات اللسّانيّة الغربيّة، فظهرت كتابات حاولت ترسّيخ الدرس اللّسانيّ الغربيّ بكل خلفياته الفكريّة والأيديولوجيّة والمعرفيّة والتاريخيّة عن طريق التّرجمة إلى البيئة العربيّة، وأخرى قرأت وقاربت التراث اللغويّ العربيّ بكل حمولته المعرفيّة والمنهجيّة واستكنهت مدلولاته لاستقراء المصّطلحات المناسبة للمقابل الأجنبيّ. إلاّ أنّ السّيل الهائل الذي تقذفه مراكز البحث الغربيّة من مصّطلحات ومفاهيم لسانيّة مقارنة بالعدد الضئيل الذي يتم وضعه كمقابل لها من قبل الباحثين أدى إلى خلق فوضى مصّطلحيّة.

لذلك تهدف مداخلتنا إلى الكشف عن الالتباس الذي يكتنف مصّطلحات الدّرس اللّسانيّ العربيّ، خاصة قضيّة أيّ المصّطلحات العربيّة أحقّ بالاستعمال والاشتغال التراثيّة أم المعربة أم الدخيلة بغية إيصّال المعرفة اللّسانيّة إلى القارئ العربيّ. واعتمدنا في ذلك على المنهج الوصفيّ التحليليّ الذي يُمكننا بواسطته تحليل ووصف كل ما يخص المصّطلح اللّسانيّ.

الكلمات المفتاحية: التراث اللّغويّ العربيّ، منهجيّة، التّرجمة، التوليد، الفكر العربيّ، المصّطلح اللّسانيّ .

Abstract :

Throughout its cognitive process, Arabic linguistics sought to receive and assimilate Western linguistic theories, so writings appeared that tried to consolidate the Western linguistic lesson with all its intellectual, ideological, cognitive, epistemological, and historical backgrounds through translation into the Arab environment. the alien. However, the huge flow of linguistic terms and concepts that Western research centers spew out, compared to the small number that is placed in exchange for them by researchers, led to the creation of terminological chaos.

Therefore, our intervention aims to reveal the confusion surrounding the terminology of the Western linguistic study, especially the issue of which Arabic terminology is more worthy of use and engagement, whether traditional or translated, in order to convey linguistic knowledge to the Arab reader. Relying on the analytical descriptive approach by which we can analyze and describe everything related to the linguistic term.

Keywords: Arabic linguistic heritage, methodology, translation, generation, Arabic thought, linguistic term.

1/ مقدمة:

إن التقدم السريع الذي تشهده السّاحة اللّغويّة في الغرب، قد ألقى بظلاله على الإنتاج الفكريّ العربيّ؛ فأحدث قفزة نوعية في مجال الدّرس اللّغويّ العربيّ، وأثار فيه إشكالات عديدة، خاصة بعد توافد«النّظريّات اللّسانيّة الغربيّة، وبالضبط منذ أن استلهمت الحداثة العربيّة أدواتها الإجرائية من المنجز الغربيّ» [1]فتعطش الباحثون العرب المحدثون لاكتشاف ونقل كل جديد في مسّار اللّسانيات الغربيّة بفروعها المختلفة ونظرياتها المتشعبة لمقاربة النصّوص العربيّة، واستكناه خباياها.

ونتج عن هذا الانتقال واقعا لسانيّا يعُج بالغموض والتداخل في مصّطلحاته الوافدة إلى العربيّة، ويمكننا حصّر التّصور العام للدّرس المصّطلحيّ اللّسانيّ العربيّ في: تعدد الترجمة الاصطلاحية للمصطلح اللّسانيّ الأجنبي الواحد، واضطراب استعماله في كتب الباحثين، بالإضافة لضبابيته في البيئة التي أنتجته؛ تضارب استعماله في مساره الأصليّ الذي نتج عنه وتباين تمثّل الباحثين للمفهوم في اللّغة المصدر. وخصوصيّة أنظمة اللّغة العربية...وغيرها من الإشكالات التي جعلت المصّطلح اللّسانيّ غير مستقر داخل سياق محفوف بالفوضى، وأثرت دون شك في مسار البحث الأكاديميّ الذي يفقد باضطراب جهازه الاصطلاحيّ مدخلا مهّما من مداخل علميّته. لذلك اقتضت حدود دراستنا في هذا البحث طرح قضايا نظريّة متعلقة بمفاهيم المصّطلح وقواعد تأصيله وتوليده ونقله.

وفي هذا الصدد، لابد أن نشير إلى أنّنا لامسّنا من خلال نظرتنا الاستطلاعيّة زّخما معرفيّا نجم عن توالي الدّراسات التي تبنّت المناهج اللسّانيّة في أبحاثها تنظيرا أو تطبيقا أو على المستويين معا، مما أسهم في طرح تساؤلات عديدة، أهمها: على أيّ أساس يتم الاستناد في اختيار المقابل العربيّ؟.وهل الإنتاج المصّطلحيّ اللّغويّ العربيّ مواز للمصّطلح الغربيّ؟.وما الدوافع التي تدعونا للتشبث بمصّطلحات تراثنا اللّغويّ لتأطير اللّسانيات العربيّة؟ ما المصطلحات اللّسانيّة العربيّة الأحقّ بالاستعمال ليتمكّن الباحث في هذا المجال من فهم اللّسانيّات فهما صحيحا لأهدافها ووظائفها؟. وإلى أيّ مدى يُسّهم فهم ووعي المترجم للمصّطلح الأجنبي في إزالة الحيرة المعرفيّة من المتلقي التي قد تؤدي إلى تحويل مساراته الفكريّة أثناء تطبيقه للمناهج اللّسانيّة في قراءة وتأويل النصّوص العربيّة؟.

ولفك الخطوط العريضة التي رسمناها حول مداخلتنا انطلقنا من استعراض جانب من النّشاط اللّسانيّ العربيّ لدى ثلّة من الباحثين الذين تشرّبوا اللّسانيّات من مظانها أو عن طريق التّرجمة باعتبارهم متقنين للّغة التي يترجمون عنها، بالإضافة لوعيهم النظريّ والمعرفيّ الذي يؤطر زاوية تلقي المصّطلح، وإدراكهم للسّمات المفهومية الموروثة في المجال المعرفيّ القديم، زد على ذلك فهمهم الصّحيح لأهم القضايا التي ينبغي أن تشكل الأولويّة في الدّراسات اللّسانيّة العربيّة، منهم:"عبد الرحمن الحاج صالح"،"عبد الملك مرتاض"،"كمال محمد بشر"،"عبد السلام المسدي"،"علي القاسمي"،"عبد القادر الفاسي الفهري"،"علي عبد الواحد وافي"،"سعد مصلوح"...وغيرهم ممّن يُعَدّون الأكثر تأليفا للكتب والمقالات التي تهتم في موضوعها بالدراسات والقضايا اللّسانيّات التي تستلزم الوضوح والدقة. ووقع اختيارنا على جملة من المصّطلحات دون غيرها نظرا لشيوعها واختلاف مقابلها بينهم.

كما ينبغي أن ننوّه إلى أنّه رغم تعددّ الدّراسات اللّسانيّة التي صبّت في معالجة إشكاليّة المصّطلح، إلا أنّ الضبابيّة طفت على سطح المصّطلحات وغزت الدّرس اللّسانيّ العربيّ، تاركة الباحث يحبو في مستنقع متعدد التسميات أثناء عمليّة كشفه عن الغموض المفاهيميّة، وجاعلة إلمامه بمحتوى وكيفيات تطبيق المناهج اللّسانيّة ضربا من الاستحالة.

2/ تعريف المصطلح اللساني:

يقول محمد حلمي خليل المصطلح:« لفظ وافق عليه العلماء المختصّون في حقل من حقول المعرفة والتخصص، للدلالة على مفهوم علمي » [2]. وهو رمز لتصوّر فكريّ يضمن أحادية المفهوم في ميدان معرفيّ محدّد ولا يتداخل مع مفاهيم مجالات معرفيّة أخرى ويغدو مألوفا بكثرة الممارسات، لذلك وجب الاهتمام بتوحيد ترجمته لكي يسهل تداوله بين الباحثين.

وممّا لاشكّ فيه، أنّ المصّطلح يحمل ثقافة الفرد، فالعرب القدماء مثلا تخيّروا ألفاظا لمعانيهم، واشتقوا لها من كلامهم أسماءً، واصطلحوا على تسميتها ما لم يكن له في لغتهم اسمٌ، فصاروا في ذلك سلفا لكلّ خلف[3]. وهذا يدلّ على تفطّنهم لأهمية تحديد المصّطلحات المقابلة لمصّطلحات لغات أخرى لما في ذلك من تأثير في تقدم البحث العربيّ.

وبما أنّ المصّطلح هو القالب الذي يحمل المفاهيم العلميّة ويتيح للباحث تداولها واستيعابها في الساحة الفكريّة والعلميّة، والحقل اللّسانيّ حقل خصب للعديد من الدّراسات اللّغويّة، ورافد هام لكثير من العلوم التي تسعى دون كلّل إلى اكتشاف جوهر اللّغة ووظائفها وكيفيات استعمالها، فإنّه ينبغي أنّ تتشكل تدريجيا وتتكاثف الحركة المصّطلحية لتأكّد أنّ القاعدة الحقيقيّة والفعليّة لهذه الدّراسات هي المصّطلح.

ونشير في هذا المقام، بأنّ العلوم البشريّة تولد من أهداف معينة، لذلك فمن الطبيعي أن يولد معها المصّطلح الذي يضطلع بهذا العلم وهذا ما نجده في اللّسانيّات التي حفلت بزخم مصطلحيّ متنوع يحاول كل مصّطلح أن يحيط بجانب من جوانب هذه الدّراسات اللّغويّة التي تهتم ببناءٍ فكريّ ولغويّ، تضافرت في إنتاجه معارف وعلوم متداخلة ومتنوعة، لذا ينبغي الإحاطة بأهم المصّطلحات التي يمكن من خلالها فهم اللّسانيات وأهدافها ووظائفها لأنّ التّمكّن من جوهرها له علاقة بتحقيق المعرفة.

ولعلنا لا نحيد عن جادة الصواب إذا قلنا أنّ المصطلحات اللّسانيّة عبارة عن مظّلة بحثية تضم تحت جناحها أعمالا علميّة تبحث في المعاني والمفاهيم اللّسانيّة المستحدثة [4]. زد على ذلك، فإنّ اللّسانيات وافد جديد على الدّراسات العربيّة، تستلزم من دارسيها الإلمام الشامل لمصّطلحاتها بغية تذليل الصعوبات حول درسها وكيفية استثمار وتوظيف مناهجها في مقاربة النصّوص العربيّة.

وفي السّياق ذاته أشار"مقران يوسف" بأنّ المصّطلح اللّسانيّ مصطلح مترجم «دخل إلى الدّرس اللّسّاني العربيّ عن طريق الترجمة باعتبارها نقلا للمفاهيم المستجدة على ساحة اللّسّانيات» [5]. والمصطلحات اللسّانيّة العربيّة من بين المصطلحات العلميّة التي وقع فيها إشكال كبير رغم وجود إنتاج ترجمي- لا بأس به- من معاجم وقواميس وفهارس وكشوف، ممّا شكل صعوبة في فهمها واستيعابها وسط المهتمين بالدّراسات اللّسانيّة.

3/ واقع المصّطلح اللّسانيّ العربيّ في الدّراسات العربيّة– نماذج-:لا يخفى على أحد أنّ المصّطلح اللّسانيّ يعاني كغيره من المصّطلحات العلميّة من الازدواجية والتعدّد في الوقت نفسه، لأنّ مسألة توحيده مسألة يصعب الانتهاء فيها إلى موقف ثابت يمكن أن يتّفق حوله جميع اللّسانيّين، لذلك سنصّف ونحلل عيّنة من المصطّلحات المتداولة في الدّراسات والبحوث اللّسانيّة العربيّة [6]:

المصّطلح اللّسانيّ الغربيّ	مقابلاته في الدّراسات العربيّة
Phonéme /Phoneme	فونيم، صوْتم، صوْتيم، صوْتيّة، الصوتيمات.
Morpheme / Morphéme	مورفيم، صيْغم، صرْفيم، صرْفيّة، صوت.
Bilabial	شفتاني، وشفويّ، من بين الشّفتين، شفوي ثنائي، شفوي مزدوج.
Lexème	وحدة معجمية، لكسيم، مفردة، مفردة مجردة، مأصل، معجميّة.
Consonant	الساكن، حرف، السّاكنة، السّاكن، الأصوات الساكنة.
Vowel	صوت اللين وحركة، حرف المد، أصوات المد، أصوات لغة، أصوات لين، وحروف لين، والأصوات المدية.
Phonologie/phonology	صوتميّة، علم الصوت الوظيفي، الفونولوجيا، صواتة، علم الأصوات الوظيفي، الصَّوتولوجيا، التّصويتيّة...الخ.
Poétique	شعريّة، الشاعريّة، الفن الإبداعي، فن النّظم، الشعريّة الإنشائيّة، فن الشعر، بويتيك...الخ.
Competence/ Compétence	قابلية، قدرة، كفاءة، استحقاق، مقدرة ...الخ.
Diachronie /Diachrony	تزمنية، زّمانيّة، دياكرونية، تطوري، تاريخية، تعاقبي، تعاقبية، زمنية، تطورية، تزّمنيّة.
Pragmatique / Pragmatics	البراغماتيك، النفعية، الذرائعية، التداولية، التخاطبية...الخ.
sémiologei/sémiotique	السيميائية، السيميولوجيا، السيميائيات، السيمياء السيميائية، وتليها السيميوطيقا، السيميولوجيا، السيمياء، الأعراضية ... وغيرها. عدّها "يوسف وغليسي" في كتابه "إشكالية المصطلح"، وأحصى أزيد من 36 مقابلا عربيا.
Cours de linguistique general	دروس في الألسنية العامة، محاضرات في الألسنية العامة، فصول في علم اللغة العام، علم اللغة العامة، محاضرات في علم اللغة العام. [7]

أما مقابلات المصّطلحين **Linguistique /Linguistics** هي: اللانغوستيك، اللّسانيات، اللّسنيات، الألسنية، علم اللّغة، فقه اللّغة، علم اللّسان الحديث، علم اللّسان البشري، علم اللّغويات الحديث، اللّغويات الجديدة، علم اللّغات، علم اللّسانة... وغيرها من المصطلحات التي تقارب23 مرادف[8]. ونشير في هذا المقام إلى أنّ عبد الرحمن الحاج صالح مال لاستخدام مصطلح "اللّسانيات" قياسا على البصريات والرياضيات أو "علم اللسان" للدلالة على المفهوم العام[9].

ونستشف ممّا تقدم ذكره أنّ مساءلة المصّطلح اللّسانيّ العربيّ عن حدود إحكام تواضعه واستعماله بعينه دون غيره للدلالة على مفهومه بين اللّسانيّين العرب يتأرجح بالتدرج بين: التّرجمة والتعريب، الدخيل، الاقتراض ثم الاشتقاق والنحت، وأخيرا الإحياء. وما يعاب على هذه الترجمات طغيان النزعة الذاتيّة في وضع المصّطلح، وعدم الأخذ بعين الاعتبار سّمات اللّغة العربيّة: الاشتقاق والنحت والتوليد كأساس أوّلي في الإسناد المصّطلحي، إلا أنّ بعض الأعمال العفويّة التي لم تُأسس على قواعد اللّغة العربيّة« تُشيع نوعًا من الاضطراب والخلط بين عدة مفاهيم تقتضي دقة الاصطلاح العلميّ الحديث أن يُخصّص لكل واحد منها مصطلحٌ بعينه إذا أطلق انصرف الذهن إليه دون غيره . فمن عيوب المصطلح أن يكون فيه ترادفٌ أو اشتراكٌ أو تضادٌّ، أو حشْو وفضولٌ، أو زيادةٌ أو نقصانٌ، أو أيُّ إخلالٍ أو لبس يؤدي إلى سوء الفهم وعدم الدقة في تحديد المعنى المقصود.» [10] .

وكما هو معلوم فإنّ التّرجمة تكشف عن وجه تعامل الباحث مع المعرفة، أي: نمط قراءته للمدونات، ووعيّه بخطر التّرجمة، وتقديره لصعوبات التفكير باللّغة في اللّغة، ويمكّننا حصر تأخر ترجمة كتاب دروس دي سوسير في: كثافة جهازه المصّطلحيّ الذي ينتمي إلى البيولوجيّ والنفسيّ والاجتماعيّ والفيزيائيّ- في آن واحد-، كما تعد خصّوصية الجهاز شاهدا على تطور علم اللّسانيّات عبر فترات تاريخيّة معيّنة، بالإضافة لبنيّة الكتاب التي ترصد في حد ذاتها ملابسات الوسط المعرفيّ الذي يعيد إنتاج المعرفة الوافدة صياغة ولغة.[11]

ومنه يتضّح لنا أنّه بعد عجز حركية التّرجمة عن مسايرة حركيّة الإنتاج العلميّ اللّسانيّ من مصّطلحات ومفاهيم ينبغي لنا تمثلها واستيعابها على الوجه الأدق لأنّها غير نابعة عن ثقافتنا وبيئتنا المعرفيّة وليست نتاج تفكيرنا، ودوران الباحثين العرب في بوتقة واحدة منشغلين بالترسانة الاصطلاحية، في ظل بطء حركة الوسيلة المضطلعة بتوحيده وإذاعته. فسح المجال أمام الاجتهادات الشخصيّة الحثيثة التي زادت الطّين بَلّة وعُدّت فيما بعد ظاهرة خطيرة انبثقت عنها فوضى مصّطلحيّة.

وهذا يحيلنا إلى حقيقة مفادها أنّ أغلبيّة اللغويّين المعاصرين آثروا تداول المصّطلحات المعربة رغم أنّ لغتنا العربيّة تتميز بخصائص تؤهلها لترجمة المصّطلحات اللّسانيّة بكل سهولة ويسر. فليس من المنصف هجرة ونكران جهود القدماء بدافع مسايرة التقدم الحضاري والاستعانة بالمصّطلحات العربيّة المستحدثة، خاصة وأنّ نظرة أغلب

النشاطات التّرجميّة نظرة ارتجالية غير فاحصّة وعميقة للمضمون الذي يعبر عنه المصّطلح اللّسانيّ؛ تعتمد أغلبها في دراسة المصّطلحات على المعاجم أو التعريب أي؛ استعمال اللفظ الأجنبي كما هو أو الإبقاء على شطر منه بصورته الأجنبية. وأحيانا يغلب عليها التعصّبية وخضوعها لميولات شخصية ناتجة عن صّراعات فكريّة إثر اختلاف وجهات نظرهم، فعلى العاملين في مجال التّرجمة اختيار المصطلح المناسب لأن المفاهيم العلمية لا تحتمل الخطأ.

4/ آليات وضع المصّطلح عند علماء التراث: في ظل إبراز مدى أصالة وغنى ثقافتنا العربيّة طرح بعض اللّغويّين العرب المحدثين قضيّة أحقّية التراث اللّغويّ العربيّ كمورد من موارد العمليّة المصّطلحية اللّسانيّة الحديثة نظرا لمخزونه المصّطلحيّ الضخم، وهذه العملية «تقتضي ضمنيا استيعابا مزدوجا طرفه الأوّل في التراث، وطرفه الآخر في العلم الحديث»[12]، وشرطا أساسيا يتمثل في: استقراء جميع العبارات التي تتضمن اللفظة المراد انتقاءها من الجهاز النظريّ المتماسك للّسانيات الغربية والتراث اللّغويّ، وأن يتطابق المفهوم التراثيّ مع المفهوم الغربيّ.

وثمة أمر آخر يجب أن لا نسقطه من بالنا، ونحن نتعامل مع هذه القضية، ألا وهو أنّ لغتنا تتوفر على مصّطلحات في تراثها، فمن«العبث إضاعة الوقت في وضع مصطلحات جديدة لمفاهيم سبق أن عرفتها لغتنا، كما أنّ من الأفضل استخدام المصطلحات التي يتوفّر عليها تراثنا، من أجل استمراريّة العربيّة ووصل حاضرها بماضيها»[13].لأن إغفال وإهمال المصّطلحات التراثيّة سيؤدي حتما إلى انفصام لغتنا وزوالها، أو إلى ازدواجيّة مصطلحية نحن في غنى عنها.

وهذا ما أكده "علي القاسمي" في كتابه "علم المصطلح، أسسه النظرية وتطبيقاته العلمية" حول قضية إغفال التراث العلميّ العربيّ، حيث عَدّ التراث وسيلة من وسائل النمو المصّطلحيّ، نظرًا لمخزونه الضخم كمًّا وكيفًا وأعاب صنيع الباحثين العرب المحدثين في وضعهم مصطلحات جديدة للتعبير عن مفاهيم عبرت عنها المصطلحات التراثية، أو وضعت على وجه مختلف في تراثنا لما لهذا العمل من أثار سلبية على اللغة العربية التي ستبقى مفرداتها حبيسة المكتبات أو مهجورة مخبئة في مستودعات يصعب الوصول إليها سيؤدي ذلك لا محالة إلى طي النسيان.

لذلك ينبغي استقراء المدوّنات اللغويّة التراثيّة بمختلف مستوياتها بأدوات منهجيّة لاستخلاص منظومة مصّطلحية لسانيّة واصّفة للّسانيات الغربيّة تعين القارئ على تجاوز اللّبس المصّطلحيّ اللسانيّ وتفك عنه مستغلقات مفاهيمه.

قام الأستاذ "توفيق جعمات" بدراسة استقرائية على بعض النصّوص العربيّة التراثيّة، ولاحظ أنّ الآليات التي اعتمدوها في انتقاء المصّطلح العلميّ بصفة عامة واللسانيّ بصفة خاصة، تتلخص فيما يلي:[14]

أ/ استخدام الصيغ الصرفيّة القياسيّة.

ب/ استخدام مصّطلحات موجودة في المعجم ومشتقاتها.

ج/ إحياء الكلمات العربية الموجودة في الجاهلية، أو المستنتجة والمتواضع عليها أثناء اختراعهم للعلوم.

د/ إعادة إنتاج المصطلح في سياقات علمية جديدة.

هـ/ صناعة معاجم متخصصة.

كما لاحظ أنّ المصّطلح يقارب مفهومه أي؛ ينتقل المترجم من تحديد المدلول إلى وضع الدال، ويغلب عليها الأسماء ثم الأفعال. فبعضهم يفضل وضع الألفاظ المجازية للدلالة على المفاهيم الغربيّة وآخرون استعانوا بآليات صياغة المصطلح؛ الاشتقاق، النحت، في حين ينحاز بعضهم للمصّطلحات الدّخيلة.

وحتى تتضح الرؤية أكثر ينبغي أن نشير إلى أنّ آليات وضع المصطلحات القديمة يغلب عليها المجاز والاستعارة، وهي مصّطلحات عامية متداولة بين العامة استخيرت من المختصين لتكون رموز لمفاهيم علميّة، وهذا ما أكّده الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح في كتابه" بحوث ودراسات في اللّسانيات العربيّة".

وفي ضوء ما تقدم، يتبيّن لنا أنّ قضية التعدد المصّطلحي وإن كانت قديمة عند العرب الفطاحل إلا أنها اندثرت مع بدايات التأليف واستقرار العلوم. أما عند المحدثين فتعود لعوامل مختلفة، منها: اختلاف وجهات النظر في التصّور العلمي للمفهوم، ازدواجية اللّغة يعني ترجمة المصطلحات الأجنبية تارة من الانجليزيّة وتارة من الفرنسيّة، إشكالية ترجمة السوابق واللواحق، انعدام العمل الجماعي بين المختصين.

5/ مواقف القدماء والمحدثين من الاقتراض اللغوي: إن المتتبع للمسار التاريخي لظاهرة الاقتراض أو الهجرة المصطلحية تتضح له معالم نشأتها، وهي ليست وليدة العصر فقد اعتمدها اللغويون العرب القدامى منذ ظهور الإسلام؛ أدخلوا مفاهيم ومصّطلحات إلى منظومتهم اللغويّة، وتلخصت نظرتهم في موقفين: أصحاب الموقف الأول(السماعيين): أجازوا الكلمات المعرّبة في الجاهلية وصدر الإسلام، وعدّوا المعرب بعد الإسلام موّلدا عاميا، أما أصحاب الموقف الثاني (القياسيين): أجازوا إلحاق الكلمات المعربة في كلامهم، وشرط بعضهم ضرورة جعلها على أبنية كلام العرب[15].

في حين تباينت مواقف المحدثين اتجاه هذه الظاهرة، فانقسموا إلى ثلاثة فرق هي:[16] المتعصبون: مصطفى صادق الرافعي...وغيره ممّن ذهبوا إلى عدم جواز التعريب، وسدّ حاجتنا إلى المفردات باستخدام طرائق: الاشتقاق، النحت ...الخ، أما المتحررون: يمثلهم يعقوب صروف، فقد أجازوا تعريب الألفاظ، ثم استعمالها من غير مراعاة لقوانين التعريب التي وضعها علماء اللّغة القدماء. وتوجه آخرون، منهم "طه حسين" نحو منحى معتدل أجاز فيه استعمال التعريب لسدّ حاجات العربية إلى المفردات شريطة أن لا يفسد هذا المعرّب أصلا من أصول اللّغة.

وفي رأينا يعتبر الاقتراض اللّغويّ سببا أخر للتعدد المصّطلحيّ، وقد دعا كلّ منّ علي القاسمي في كتابه "علم المصطلح".و مختار زواوي في كتابه"مسائل في تلقي النظرية السوسرية" إلى تجنب الاقتراض اللغوي الذي لجأ إليه بعض الباحثين وهو عبارة عن استعارة المصّطلح المرادف للمفهوم في المجال المعرفيّ القديم، بحيث تقاطع بعض مفاهيمه اللّسانية مع مفاهيم مشابهة له في جميع السّمات أو في سّمة مفهوميّة واحدة في مجال أخر، وهذا ما يعرف بالهجرة المصّطلحية في إطار التكامل المعرفيّ الذي يسمح بالانفتاح والتّوسع والشموليّة قصد استقصاء أبعاد

الظاهرة اللّغويّة. لكن ما يعاب على عملية الاقتراض أنّها لم تقتصر على فرع واحد من فروع الدّراسات اللسانيّة العربية، بل طالت عددا من العلوم العربية الأخرى التي تتداخل معها.[17]

6/ أطر انتقاء المصطلحات العربيّة في الفكر اللّسانيّ الحديث، عبد الرحمن الحاج صالح أنموذجا: توخيّا للدقة في استعمال المصطلحات، دأب مجموعة من الباحثين اللغويين العرب المعاصرين المختصين- بغض النظر عما هو رائج في الساحة اللغوية- منذ سنوات عدّة إلى التمييز بين المفاهيم الأساسيّة المتداولة في مجال الدرس اللّسانيّ العربيّ فقد اتخذوا منعرج النّقلة النّوعيّة في تبصّر النظريّة اللّسانيّة السّوسيريّة، ويظهر ذلك في تطور وعيهم المتماسك للنظريّة، وأوّل إجراء اتخذوه الرجوع للمدونات التراثيّة اللّغويّة، منهم: "عبد الرحمن الحاج صالح" و"كمال محمد بشر"[18]و"عبد الجليل مرتاض"[19]- على سبيل المثال لا الحصر-. فلا جرم أن نميط اللثام عما قدموه من جهود ومنجزات في سبيل وضع أسس منيعة تؤسس للدّرس اللّسانيّ العربيّ الحديث، ليتحول بذلك الفكر اللّسانيّ العربيّ من الاضطراب إلى الممارسة اللّسانيّة الفاعلة والمنتجة تفتح للباحثين مغاليق البعد النفعيّ الوظيفيّ لأهم قضاياه، كقضية المصطلح، لأن بقاءه أو فناؤه مرهون بالاتفاق عليه وكثرة استعماله. لذا ينبغي وضع خطّة يسير عليها المترجم تيسّر له عملية التّرجمة لتدارك الزخم المصّطلحيّ الغربيّ الوافد علينا بكل ما يحمله من مفاهيم علميّة تسّهم في البناء الفكريّ العربيّ للمعرفة اللّسانيّة الغربيّة.

ولعل أبرز ما ينبغي أنّ تركز عليه جهود اللّسانيّين العرب المعاصّرين هو التضافر لوضع معجم لسانيّ عربيّ موحّد، تُأخذ مصطلحاته من المدونة الحاسوبيّة التاريخيّة أو العامة التي تحوي مجموعة من المصطلحات تعبر عن المفهوم نفسه، أو مصطلحات مختلفة تعبر عن مفهوم واحد، فيستعين بها المترجم لانتقاء المصطلح المناسب بغية تفادي أزمة الترادف والاشتراك اللفظي المصطلحي وقد أكد عبد الرحمن الحاج صالح في مداخلته التي ألقاها في "مؤتمر المنظمة العربية للتربية والتعليم والثقافة"، الموسومة ب" اللّغة العربيّة وتحديات العصر" على ضرورة إخضاع العمل التّرجميّ للمعالجة الجماعيّة وفق ضوابط علميّة ومنهجيّة؛ مراعاة معطيات العلوم اللّسانيّة والاجتماعيّة، والابتعاد كل البعد عن جرد المعلومات من القواميس، والرجوع للمدونات العربيّة التراثيّة كالمخطوطات وإعادة النظر في مضامينها نظرة شموليّة تكامليّة بالاعتماد على المنهج العلميّ الصحيح القائم على المسّح الكامل للنص المراد قراءته وتحليله للاستقاء مصطلحات تحدد المفاهيم اللّسانيّة الحديثة[20].

لقد اختار عبد الرحمن الحاج صالح[21] مصّطلح"الاستغراق" بدلا عن مصّطلح "التوزيعية" كمقابل للمصطلح الغربي"Distributionnalise " والذي يعني: "استفراغ الخطاب من كل ما يحمله من سياق لفظيّ ذي دلالة"، مستدلا بما ذكره "علي بن عيسى الرماني" في كتابه "شرح كتاب سيبويه" عن النحاة العرب القدامى استخدامهم لمصّطلح "قسمة المواقع" للدلالة على نفس المفهوم. كما اعتمد مصّطلح "البِنوية" بدلا عن "البُنيوية" كمقابل للمصّطلح الأجنبي "Structuralisme " مستدلا برأي "يونس بن حبيب النحوي" الذي اشتق من مفردة ظبية ظبوي وهو أخف من ظبيّ. واستخدم كذلك مصّطلح "الانغماس" بدل "الحمام اللغوي" كمقابل للمصّطلح الأجنبي "Bain Liguistique" الذي يعني

التغلغل في أعماق الشيء، واستدل في ذلك استعمال العرب القدامى لهذا المصّطلح، كقول علي بن حجر: "فانغمس في العدو فقتلوه أي دخل فيهم وغاص". كما آثر استعمال ثنائية "الوضع/الاستعمال" بدل ثنائية "اللّغة/الكلام" مستدلا بقوله: إن النحاة العرب القدامى استخدموا الوضع للدلالة على مجموعة منسجمة من الدال والمدلولات ذات بنية عامة ثم بنى جزئية تندرج تحتها، وهو المفهوم المتعارف عليه عن اللّغة، أما الاستعمال فيختصره بعبارة: هو كيفية إجراء الناطقين لهذا الوضع في واقع الخطاب، وهو المفهوم المتعارف عليه عن الكلام. زد على ذلك فقد ترجم المصّطلح الأجنبي "Pragmatique " ب "ظواهر التخاطب" بدلا عن "التداولية" مستدلا في ذلك بقوله: اعتد سيبويه كثيرا بظواهر الاستعمال ومنها نظريته في ظواهر التخاطب. وهذا يندرج ضمن الميدان الواسع المسمى بعلم اللسان.

خاتمة:

وهنا يمكننا القول بأنّ أهمية الدّراسات اللّسانيّة تكّمن في: تيسير عمليّة التّرجمة من لغة إلى أخرى كونها أداة منهجيّة إجرائيّة تأسيسيّة لمناهج البحث في العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، نظرا لمّا تقدّمه للباحث المترجم من معرفة دلالية لخصائص اللّغة المنقول منها وإليها، لكن هذه الأهمية غابت في خضم الفوضى المصّطلحيّة التي سادت الدّارسات اللّسانيّة العربيّة.

ولعلّ مردّ ذلك إلى عدم استيعابهم للمفاهيم اللّسانيّة العربيّة القديمة والغربيّة واختلاف ثقافة وتوجّه وتجربة كل باحث؛ فمنهم من عاد إلى القواميس المتخصّصة والمعاجم، ومنهم من طرح المصطلح منفصلا عن خلفياته الفكريّة والفلسفيّة والتاريخيّة التي تؤطره، ومنهم من تعامل مع المصّطلحات ومفاهيمها وكأنّها وليدة العصر، ومنهم من رأى عكس ذلك تماما إذ لم يغفل وجود إشارات لها في تراثنا العربيّ، ومنهم من رأى أنّ مسألة المصّطلح اللّسانيّ مسألة ثانوية، وأنّ لا علاقة بينها وبين قراءة وإنتاج النصّوص. فعلى العكس من ذلك فإنّ أيّ تساهل في نقله من بيئة إلى أخرى دون ربطه بخلفياته التي تغذيه وبمعزل عن النص الذي ورد فيه هو إفراغ له من معناه الحقيقيّ.

المراجع:

1 / أبو عثمان الجاحظ، البيان والتبيين، تح:عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، ج1.
2/ الحاج صالح، عبد الرحمن، بحوث ودراسات في علوم اللسان، موفم للنشر، الجزائر،2007.
3/ الحاج صالح،عبد الرحمن، السماع اللغوي عند العرب ومفهوم الفصاحة، موفم للنشر، الجزائر، 2012.
4/ الحاج صالح،عبد الرحمن، السماع اللغوي عند العرب ومفهوم الفصاحة. الجزائر، موفم للنشر، 2012 .
5/ الحمزاوي، محمد رشاد، المصطلحات اللغوية الحديثة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1987.
6/ الفاسي الفهري، عبد القادر، المصطلحات اللسانية، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، 2009.
7/ بشر، كمال محمد، علم اللغة العام: الأصوات، مؤسسة المعرف للطباعة والنشر، القاهرة، 1980.
8/ زفنكي،صافية، أثر الاقتراض اللغوي في اللغة العربية الحديثة، المركز الديمقراطي العربي، ألمانيا، 2021.
9/ حجازي، محمود فهمي، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، مكتبة غريب، القاهرة، 1993.

10/ مسدي،عبد السلام، مباحث تأسيسة في اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، 2010.

11 مولاي علي بوخاتم، الدرس السيميائي المغاربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2005،

12/ مقران، يوسف، المصطلح اللساني المترجم مدخل نظري إلى المصطلحات، دار مؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، 2007.

13/ شريف، سمير، اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2008.

14/ وافي، علي عبد الواحد، علم اللغة، دار نهضة، مصر، 1984.

المقالات:

15/ السوداني، حسين، ترجمة المصطلح وتوطين اللسانيات الترجمات العربية الخمس لدروس فردنان دي سوسير، مقال بمجلة اللسانيّات العربيّة.ع7، 2018.

16/ عمر، أحمد مختار، المصطلح الألسني العربي وضبط المنهجية، مقال بمجلة عالم الفكر، مج20. ع3، 1989.

17/ مرتاض، عبد الملك، إشكالية المصطلح اللساني والترجمة. مقال بمجلة معالم، 2011.

هوامش البحث:

(1) مولاي علي بوخاتم، الدرس السيميائي المغاربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2005، ص: 22.

(2) ينظر: صافية زفنكي، أثر الاقتراض اللغوي في اللغة العربية الحديثة، المركز الديمقراطي العربي، برلين-ألمانيا، ط1، ماي2021، ص: 11،12،13.

(3)ينظر:أبو عثمان الجاحظ، البيان والتبيين، تح:عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، ج1،ص: 139.

(4) ينظر:استيتية سمير شريف،اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2008، ص341.

(5)مقران يوسف، المصطلح اللساني المترجم مدخل نظري إلى المصطلحات، دار مؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 2007، ص: 128.

(6)أنظر كل من: عبد السلام مسدي، قاموس اللسانيات، الدار العربية للكتاب، تونس، دط، 1984م. ومكتب تنسيق التعريب، المعجم الموحد لمصطلحات اللّسانيات، الرباط ، ط1، 2002م. وأحمد مختار عمر، المصطلح الألسني العربي وضبط المنهجية، عالم الفكر، الكويت،م20، ع3 ،1989. وعبد القادر الفاسي الفهري، المصطلحات اللسانية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، 2009م. وعلي عبد الواحد وافي، علم اللغة، دار نهضة مصر، ط9، 1984م. ومحمد رشاد الحمزاوي، المصطلحات اللغوية الحديثة، الدار التونسية للنشر، تونس، د ط، 1987.

(7) كتاب دي سوسير الذي تمت ترجمته خمس مرات: ترجمة عراقية1985 م(للنص المترجم إلى الانجليزية) من طرف: يوئيل يوسف، ترجمة مصرية1985م(للنص المترجم إلى لانجليزية)من طرف: أحمد نعيم الكراعين، ترجمة تونسية (الاشتغال المباشر على النص الفرنسي الأصلي)1985م من طرف: صالح القرمادي ومحمد عجينة ومحمد الشاوش، ترجمة سورية1986م(الاشتغال المباشر على النص الفرنسي الأصلي)من طرف يوسف غازي ومجيد نصر، وترجمة مغربية1987م(الاشتغال المباشر على النص الفرنسي الأصلي)من طرف عبد القادر القنيني.

[8] ظهرت هذه المصطلحات العربية منذ بداية السبعينات من القرن العشرين كتسميات للعلم في حّد ذاته، لكن في الدورة الرابعة للّسانيات التي نظمتها الجامعة التونسية سنة 1978م، تم الاتفاق والاستقرار على استعمال مصطلح "اللّسانيات " في الوطن العربي، والتخلي عن بقية المصطلحات.

[9] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، موفم للنشر، الجزائر، 2007، ص: 38.

[10]عبد العلي الودغيري، القاموسية العربية الحديثة بين تنمية الفصحى وتحديث القاموس والتأريخ للمعجم، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات،لبنان ، ط1، أوت 2019، ص:10.

[11] ينظر: حسين السوداني، ترجمة المصطلح وتوطين اللسانيات الترجمات العربية الخمس لدروس فردنان دي سوسير، ص:11-12-13. مقال بمجلة اللسانيّات العربيّة، ع7، السعودية، شوال1439هـ 2018م.

[12] عبد السلام مسدي، مباحث تأسيسة في اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ط1، 2010، ص:28.

[13] محمود فهمي حجازي، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، مكتبة غريب، القاهرة، 1993، ص228.

[14]لخصها في مداخلة موسومة ب"قضايا المصّطلح في التراث العلميّ العربيّ" ألقاها في محاضرة علمية افتراضية، أقامتها فرقة البحث اللساني والتخطيط اللّغويّ التابعة لأكاديمية "بيت اللسانيات الدولية " يوم الخميس 2022/12/08 الساعة السابعة مساء بتوقيت الجزائر.

[15] ينظر:أحمد مختار عمر،المصطلح الألسني العربي وضبط المنهجية، عالم الفكر،الكويت،ع3 ،1989، ص:12، 13.

[16] ينظر: علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، دار نهضة مصر، ط9، 1984م، ص: 298.

[17] ينظر: مختار زواوي، مسائل في تلقي النظرية السوسرية، دار ومضة للنشر والتوزيع والترجمة، د ب، ط1، 2021م،ص11. وعلي القاسمي، علم المصطلح أسسه النّظريّة وتطبيقاته العلميّة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت-لبنان، ط2، 2019م، ص244.

[18] تحدث كمال محمد بشر في ذلك بإطناب، أنظر: كتابه "علم اللغة العام: الأصوات"، الصادر عن مؤسسة المعرف للطباعة والنشر، 1980م. ومقاله "محاضرات في علم اللغة العام للعالم السويسري(دي سوسير) وموقعه في الدراسات اللغوية"، الذي أصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة 1973م.

[19] تلخصت جهود عبد الملك مرتاض في صناعة المصطلح اللّسانيّ في كتبه ومقالاته بين تصويب الاصطلاحات اللّغويّة الشائعة وتقديم بدائل مصّطلحيّة جديدة لاصّطلاحات شائعة، حيث أشار في مقاليه -على سبيل المثال لا الحصر- "اللسانيات العربية والترجمة" المنشور بمجلة اللغة العربية التابعة للمجلس الأعلى للّغة العربيّة في العدد13. ومقاله "إشكاليّة المصّطلح اللسانيّ والترجمة" المنشور بمجلة معالم، ع5، 2011 م إلى بعض المقابلات الشائعة وقام بتصويبها بالحجة والدليل، فمثلا : استخدم مصطلح "بِنَويٌّ" أو "بِنْيِيٌّ" المشتق من "بنية" كمقابل للمصطلح الأجنبي "Structuralisme". وصوب الاستعمال اللغوي للمصطلح " اللّسانيات" المقابل للمصطلح الأجنبي Linguistique نسبة للعلم في حد ذاته، في حين ننسب مصطلح "اللسانِيّيّ" نسبة للمشتغل بها وجمعه "اللّسانياتيون"...وغيرها من المصطلحات.

[20] ينظر:عبد الرحمن الحاج صالح، مداخلة اللغة العربية وتحديات العصر، مؤتمر المنظمة العربية للتربية والتعليم، 2005، ص: 25،26.

[21] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، السماع اللغوي عند العرب ومفهوم الفصاحة، موفم للنشر، الجزائر، 2012م ص:17. وكتابه: بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص: 195. و كتابه: منطق العرب في علوم اللسان، موفم للنشر، الجزائر، 2012، ص8-9. و كتابه: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص:193.